إنسانية الفكر البلاغي، والارتقاء بالمخاطبين "دراسة مقاربة"

إعداد الأستاذة الدكتورة

حنان علي أحمد مشعل

أستاذ البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

الإسكندرية

إنسانية الفكر البلاغي، والارتقاء بالمخاطبين "دراسة مقاربة"

حنان علي أحمد مشعل

قسم البلاغة والنقد- كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات- جامعة الأزهر الشريف - الإسكندرية - مصر.

البريد الإلكتروني: Hanan.ali@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يستقرئ هذا البحث؛ المفهوم الإنساني للفكر البلاغي الرحب، والذي يتميز بطابعه المرن؛ تتنازعه جميع العلوم والفنون مع الارتقاء بأذواق المخاطبين؛ بما يُلزم الباحث البلاغي في القرآن الكريم، والبيان النبوي الشريف، والإبداع الأدبي؛ ضرورة الالتزام بوعي منهجي لا يفقد البلاغة خصوصيتها الإنسانية، ولا يفرض عليها الانسياق خلف تصورات منهجية لا تراعي طبيعتها الإنسانية، فهي تقع بين حد العلم من جانب، وبين الفن والجمال من جانب آخر، الذي يرفض الثبات العلمي، ويتمرد على التقنين؛ بما يجعلها منهجا (فريداً) غير ثابت لكنه ممكن أو معقول، بل ومستوعب لكل التجارب الإبداعية؛ فالبلاغة تستوعب كل العلوم والفنون بمرونة وغلبة على كل القوانين والثوابت، فإذا ما حضرت توارت خلفها العلوم حياءً وخجلاً . فهي متسعاً رحباً لجميع الإمكانات التعبيرية، والطاقات الإبداعية من خلال السياقات المختلفة سواء أكان السياق- اللغوي - حيث المبنى أم كان ذلك من خلال السياق غير اللغوي (المقامي)، والذي يشمل جميع السياقات: (التخاطبي - المقاصدي - الزماني - المكاني - النفسي، الاجتماعي...إلخ).وكما يقول أستاذنا الدكتور/ إبراهيم الخولي: "علم البلاغة نضج، ولم يكتمل"؛ لأنه علم ممتد يستوعب كل أنماط التعبير (الإلهي) منها، و(غير الإلهي)، فهو فكر متجدد بتجدد متونه، ونصوصه وإنسانية الفكر البلاغي الرحبة لا تتنافى وإمكانية الالتزام المنهجي من نحو (البنيوية، والسيمائية،

والأسلوبية، والتداولية.....)؛ لأنها تجعل البلاغي يصل إلى أقصى ذروة في استقصاء التكوين الجمالي للنصوص.

الكلمات المفتاحية: البلاغي، الارتقاء بالمخاطبين، إنسانية الفكر- دراسة مقاربة- إنسانية- الارتقاء بالمخاطبين - الفكر البلاغي .

Humanizing Rhetorical Thought and Improving the Addressees' TasteAn approach study

Hanan Ali Ahmed Mishal.

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students, Al-Azhar University, Alexandria, Egypt.

Email: Hanan.ali @azhar.edu.eg

Abstract:

This research extrapolates the human concept of broad rhetorical thought, which is characterized by its flexible nature, which accommodates all sciences and arts, while improving the tastes of those being addressed. Those who search the rhetoric of the Holy Qur'an, the eloquence of the prophetic tradition, and literary creativity are obliged to adhere to a systematic awareness so that rhetoric does not lose its human specificity. Rhetoric falls between the limits of science on the one hand and art and beauty on the other hand, which rejects scientific consistency and rebels against codification, which makes it a (unique) approach that is not fixed, but possible or reasonable, and it even accommodates all creative experiences. Rhetoric accommodates all sciences and arts with flexibility and mastery over all laws and constants. It is a wide field for all modes of expression and creative energies through different contexts, linguistic as well as non-linguistic contexts: conversational, intentional, temporal, spatial, psychological, social... etc. According to Prof. Ibrahim Al-Khouli the science of rhetoric has matured but is not complete because it is an extended science that

accommodates all modes of expression: divine and non-divine. It is renewed so long as its content and texts are renewed. The broad humanity of rhetorical thought is not incompatible with the possibility of systematic commitment to syntactic approaches whether they are structural, semiotic, stylistic, or pragmatic.

Keywords: Rhetorical - Elevating – Addressees' Taste - Humanity of thought - An approach study - Humanity - Rhetorical thought.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله ومن سار على نهجه، واتبع سنته إلى يوم الدين.

وبعـــــد، ،،

البلاغة فضاء مفتوح؛ لاستيعاب مختلف أشكال التعبير الإنساني، فهي منهج متحرك غير قار ولا ثابت، تتجدد بتجدد الأنواع والنصوص، وهذا ما يجعل مفهوم البلاغة بوصفه مفهوما مركزيا في إدراك العملية الإبداعية.

كما قال شيخنا العلامة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم الخولي: علم البلاغة علمٌ نضج ولم يكتمل.

إن التعاطي البلاغي، لا يمكن أن يخرج في حقيقته عن طابعه الإجرائي وسمته العملي؛ لأنه في جوهره وثيق الصلة بالنصوص في صيغتها المتجددة باستمرار.

إن التعامل مع إنسانية الفكر البلاغي الرحب في سياقاته الحياتية المحسوسة أو المعاشة؛ قادر على التأثير في القاعدة العريضة من الجمهور أو الأعداد التي لا حصر لها؛ وذلك باعتباره وسيلة من وسائل التواصل المجتمعي العام الأكثر جذباً وإقناعاً وتأثيراً في العقول وقدرته على التأثير في توجهات الأشخاص . كما أن ضرورة الالتزام بوعي منهجي لا يفقد البلاغة خصوصيتها الإنسانية، ولا يفرض عليها الانسياق خلف تصورات منهجية لا تراعي طبيعتها الإنسانية، فهي تقع بين حد العلم أو المعرفة المنضبطة من جانب، وبين الفن والجمال من جانب آخر، أو المنطق والخيال الذي يرفض الثبات العلمي، ويتمرد على التقنين؛ بما يجعلها منهجا (فريداً) غير ثابت لكنه ممكن أو معقول، بل ومستوعب لكل التجارب الإبداعية؛ فالبلاغة تستوعب كل العلوم والفنون بمرونة وغلبة على كل القوانين والثوابت، فمنهجها الإنساني يجعلها تتقدم جميع العلوم، فإذا ما حضرت توارت خلفها العلوم حياءً وخجلاً.

فهي متسعاً رحباً لجميع الإمكانات التعبيرية، والطاقات الإبداعية من خلال السياقات المختلفة سواء أكان السياق – اللغوي – حيث المبنى أو المقال أو التركيب أم كان ذلك من خلال السياق غير اللغوي أي (المقامي أو المعنوي)، والذي يشمل جميع السياقات: (التخاطبي – المقاصدي – الزماني – المكاني – النفسي، الاجتماعي...إلخ).

فهو علم عام ممتد شاسع يستوعب كل أنماط التعبير (الإلهي) منها، و(غير الإلهي)، فهو فكر متجدد بتجدد متونه، ونصوصه، كما أن السمت البلاغي للمحلل أو المتعاطي إجرائياً لهذا الفكر البلاغي؛ يغلب عليه النظرة العميقة التي تغوص في المتون والثنايا، أو الأصول والفروع، كما يقول شيخنا الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد محمد أبو موسى.

إن تتدبر علاقات الأرحام والنسب تلك التي بين المفردات، وكل ما يحيط بالنص. فهذا الفكر الإنساني البلاغي يعزز الذائقة لدى المخاطبين ويعلي الإحساس الفني المرهف والنفس الروحانية الخالصة، والقريحة النفاذة، والذكاء اللماح.

إنسانية الفكر البلاغي الرحبة لا تتنافى وإمكانية الالتزام المنهجي من نحو (البنيوية، والسيمائية، والأسلوبية، والتداولية.....)؛ لأنها تجعل البلاغي يصل إلى أقصى ذروة في استقصاء التكوين الجمالي للنصوص، التي تموج بين الأصول والفروع، والثنايا والتخوم.

هذا، ويتجلى جوهر الفكر الإنساني للبلاغة في عدة أمور منها على سبيل المثال لا الحصر:

- الإقرار بأهمية الأبعاد الإنسانية في العمل البلاغي النقدي .
- تعزيز الذائقة الجمالية؛ للكشف عن القيم الإنسانية لفلسفة الفكر البلاغي .
- استجلاء النظر في القيم الجمالية للنصوص، بعيداً عن التوجهات الصارمة للمناهج .

-تكاملية الفكر البلاغي، وإنسانيته مع المناهج الإجرائية في التحليل؛ تلك التي لا تتعارض مع التوجهات الحديثة، تحت مسمى(الرؤية الإنشائية) .

وتأسيساً على ذلك:

أقول: إنها إنسانية الفكر البلاغي التي تعمل ارتقاءً بالمخاطبين بها، المهيمنة على سائر العلوم، والمتفضلة عليهم، والمهتمة بتأمل خطاباتهم، ولا سيما الخطابات الكونية والإنسانية، بداية من القرآن الكريم والسنة النبوية، وتأويلهما في سياقاتهما المحسوسة الحياتية؛ لربط العلم بالإنسانية، وسياقاته، ومجالاته – ولا سيما – من هذه المجالات (إنسانية الفكر البلاغي)، والذي كان له الدور الأبرز في توسيع آفاق بلاغتنا العربية نظرياً، وإجرائياً، وإحياءها، وبعثها في صورة جديدة .

فربط البلاغة بسياقاتها الإنسانية المحسوسة الحياتية، والتي جسدتها الركيزة(اللغوية)، وكذا السياقات (غير اللغوية) والتي جسدتها السياقات المعنوية؛ إنما هي محاولة إعادة إنتاج أدواتها ووسائلها، وهنا نجدها فرصة؛ لتطبيق ذلك على بعض (الشواهد القرآنية والنبوية) ودورها الإيجابي في الارتقاء بذوق المخاطبين، مستحضرين الكثير من النماذج التطبيقية لترسيخ الفكرة البحثية وتثبيت دعائمها.

وقد دفعني إلى اختيار هذا البحث أمور عدة أجملها فيما يأتي :

أولاً: البحث في الحقول المعرفية التي تربط البلاغة بالواقع الحياتي المعاش؛ لربط العلم بالإنسانية والذاتية والذائقة الجمالية، وسياقاته ومجالاته – ولا سيما- من هذه المجالات (إنسانية الفكر البلاغي)، والذي كان له الدور الأبرز في توسيع آفاق بلاغتنا العربية نظرياً، وإجرائياً، وإحياءها، وبعثها في صورة جديدة.

فهي محاولة إعادة إنتاج أدواتها ووسائلها من خلال؛ المنهج الإنشائي الذي عزز الذاتية الذوقية على اعتبار أنه من الدراسات البينية، التي خرجت من خصوصية العلم الواحد، إلى عمومية جميع العلوم الإنسانية؛ وعليه فكل متخصص يتناوله باعتبار وجهة نظر تخصصه البحتة أو الخالصة .

ثانياً: استجلاء البلاغة النوعية لأي خطاب إبداعيّ، بعيدًا عن أيّة تنظيرات، أو قواعد صارمة، مع مراعاةً لمختلف أبعاد النص التكوينية والجمالية .

ثالثا: تبسيط المعالجة البلاغية للإبداع من قبيل (السمة التكوينية)، (الصورة الكلية) (الصورة الجزئية)..إلخ، كاقتراح –الجماليون– أدوات إجرائية؛ بوصفها أدوات تشف عن مجموع الإمكانات التعبيرية في النص الأدبي المنتسب إلى جنس أدبي.

رابعاً: التخفيف من كثافة الإطلاق المنهجي وغلوائه؛ لصعوبة أن يتحقق تحليل النص جزئيًا، بيد أننا عندما نبدي انشغالنا بمظهر جماليّ جزئيّ من مظاهر الجنس الأدبي، وفي هذه الحالة الثانية نكون قد نظرنا إلى الوجه الآخر، والأهم وجهه البلاغي.

أهمية الدراسة أو البحث:

أولاً: الإسهام في التأسيس لمنهج بلاغي مرن، وفي التأسيس لمنهج نقدي جديد، ألا وهو (النقد الإنسانيّ)؛ الذي يقرب المسافة فيما بينه وبين المتلقي مرتبطاً بذات المتلقي، تلك الذات المتمثلة في المتعة والإحساس بالجمال؛ لذا فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنفصل إنسانية الفكر البلاغي عن ذوق الناقد، وإحساسه وفكره، وعن انطباعاته الذاتية .

ثانياً: استخراج الأحكام النقدية، والاستنتاجات البلاغية التي تقود إلى؛ ضبط القوانين التي ينبني عليها العمل المدروس، وصياغة الاستنتاجات والخلاصات التأملية .

فالمناهج التحليلية المعروفة مهما تكن منطلقاتها، وسبل معالجتها للنصوص، سواء أكانت بنيوية أم أسلوبية أم تداولية أم سيميائية أم سوسيولوجية أم غيرهًا .

ثالثاً: تكاملية العلاقة بين إنسانية الفكر البلاغي وذوق الناقد، وإحساسه وفكره، وانطباعاته الذاتية، وحتمية هذه العلاقة تجسدها أبعاد النص التكوينية والجمالية .

رابعاً: تحديد المقصد الرئيس من- المزاوجة - بين إنسانية الفكر البلاغي وذوق الناقد وإحساسه وفكره، وعن انطباعاته الذاتية، والذي يتجلى في إعلاء الذائقة الجمالية، وذاتية الرؤية، فتضافر السلطتين واتحاد مقصدهما؛ إنما ينتج عنه لغة غير نمطية في معالجة النصوص والأحداث لغة التنوع البلاغي الأسلوبي فغدت لغة الفكر البلاغي؛ لغة تكاملية، وإنسانيته مع المناهج الإجرائية في التحليل؛ تلك التي لا تتعارض مع التوجهات الحديثة، تحت مسمى الرؤية الإنشائية أو (المنهج الإنشائي) رؤية إبداعية متجددة يتولد منها كل يوم الجديد .

خامساً: إزالة غبار- اللفظية - عن البلاغة العربية؛ وذلك بربط إنسانية الفكر البلاغي بذوق الناقد، وإحساسه الجمالي وفكره، وانطباعاته الذاتية، التي لا يختلف عليه اثنان بأنه محور الحياة المعاصرة، والتدليل على حيوية البلاغة، ومواكبتها العصر.

سادساً: إثبات أن إنسانية الفكر البلاغي ليست رفاهية، أو زينة أو ترفيه تنثرعلى جسد اللغة؛ وغير ذلك من الجوانب التي تحوز قدرا كبيرا من التدخل في توجيه الإمتاع، وتتدخل في طبيعة التأثير الجمالي في المتلقي أو المخاطب، الذي يبقى في نهاية المطاف متلقي ينشد قيم الجمال والمتعة، ويميزه الإحساس به، بل ويعيش من أجله وتفرضها ذاتية البلاغة الذوقية؛ لأن هذا الفكر البلاغي المرن إلى حد كبير فيما يسمى بـــ (النقد الإنسانيّ)، فرسالة النقد الإنساني لا

تنفصل عن ذوق الناقد، وإحساسه وفكره، وذاتيته، فهما صنوان في اشتمالهما على طاقة ذوقية جمالية ذاتية مهمة، فالقصدية الذاتية للباحث في بلاغة الإبداع؛ تعطي قدرًا من الاطمئنان إلى معالجة نوعية، تجنبه إسقاط الأحكام والنتائج، وحفظ مبدأ المغايرة الذي يسمى الإبداع الإنساني ويشكل جوهره الخالد.

ويجيب البحث عن مجموعة من الأسئلة:

- ما العلاقة بين المقاربة البلاغية لإنسانية الفكر الرحب، والالتزام المنهجي الصارم؟
- ما هي سمات منهج الفكر الإنساني الرحب للبلاغة ؟
- ما المنهج الذي تفرضه ذاتية البلاغة الذوقية، أو الفكر البلاغي الإنساني، وما رسالة هذا المنهج ؟
- ما المنهج الإنشائي ؟

تهدف هذه الدراسة إلى:

- الدفاع عن المفهوم الرحب؛ لإنسانية الفكر البلاغي اللامحدود.
- تسلح المقاربة البلاغية للإبداع بوعي منهجي؛ لا يفقد البلاغة خصوصيتها الإنسانية، ولا يفرض عليها الانسياق خلف تصورات منهجية لا تراعي طبيعتها الإنسانية .
- خصوصية إنسانية الفكر البلاغي، والمتمثلة في تمركزها بين حد العلم والمعرفة المنضبطة من جانب، وبين حد الفن والجمال من جانب آخر، وبين حد التمرد على التقنين والصرامة المنهجية من جانب ثالث .
- إن موسوعية الفكر البلاغي وإنسانيته ورحابته، جعلته يتميز بخصوصية ذات طابع مرن؛ تُلزم الباحث البلاغي في القرآن الكريم، والبيان النبوي الشريف، والإبداع الأدبي؛ بعدم الانسياق خلف تصورات منهجية لا تراعي طبيعتها الإنسانية.

- ينتج عن هذا الفكر المرن ما يسمى بـــ (النقد الإنسانيّ)، ورسالة النقد الإنساني لا تنفصل عن ذوق الناقد، وإحساسه وفكره، وذاتيته .

ومن أهم الدراسات السابقة:

- الصورة الروائية بين النقد والإبداع، محمد أنقار، فصول، ع٤، شتاء ١٩٩٣م.
- التكامل المعرفي بين البلاغة والتداولية " من بلاغة الصورة إلى بلاغة المتكلم" الدكتور رحيم يوسف .
- البلاغة والسرد والسلطة في (الإمتاع والمؤانسة) الدكتور هشام مشبال .
- أسرار النقد الأدبي، مقالات في النقد والتواصل، محمد مشبال، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان، ط١، ٢٠٠٢م.
- بلاغة النادرة، مشبال محمد، أفريقيا الشرق، البيضاء، ٢٠٠٦ م.
- مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ترجمة عبد الرحمن أيوب، دار توبقال للنشر، (عالم المعرفة الأدبية)، ط١، ١٩٨٥م .

وكان المنهج المتبع منهجاً وصفياً، استقرائياً، وقد انتظمت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

المقدمة: وفيها تأتي أهمية الموضوع، وما دفعني إليه، وأهدافه متضمنة الخطة، والمنهج الذي سرت عليه، والدراسات السابقة، وتساؤلات البحث .

التمهيد وفيه نبذة عن:

- الضرورة الملحة لاستجلاء القيم الجمالية في النصوص الإبداعية، وتغليب الذاتية الشخصية.

المطلب الأول:

- – المقاربة البلاغية للأبعاد الجمالية الذاتية.

- سعة الفكر البلاغي، وامتداد منهجه.
- المعالجة البلاغية في هذا المنهج .
- المنهج الإنشائي .
- مقاربة في الأنساق والوظائف .

المطلب الثاني: التوظيف التطبيقي لإنسانية الفكر البلاغي في البيان النبوي الشريف:

ويشتمل على ما يأتي :

أولاً: التوظيف التطبيقي لإنسانية الفكر البلاغي في البيان النبوي الشريف .

ثانياً: أهم خصائص إنسانية الفكر البلاغي في البيان النبوي الشريف .

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها، والتوصيات .

ثبت المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات .

والله أسأل التوفيق والسداد؛ في تناول هذا الموضوع على الوجه الذي ينبغي له، فإن وفقت فمن الله – عز وجل – وإن جانبني الصواب فمن الشيطان ونفسي، وحسبي أنني اجتهدت، وأنه عمل بشري؛ فيكفي أن أنال حظ المجتهد المخطئ .

التمهيد

إن الضرورة الملحة لاستجلاء القيم الجمالية في النصوص الإبداعية، وتغليب الذاتية الشخصية بعيداً عن المناهج النقدية الصارمة؛ لهو الاتجاه الذي يتبناه الإنشائيون ومن يغلبون الإحساس بالجمال، وتفعيل الذاتية الشخصية، فالمقاربة البلاغية للإبداع على كافة أنواعه وتعدد أشكاله؛ تستدعي الوعي المنهجي الممتد والمرن الذي لا يفقد البلاغة خصوصيتها الإنسانية، تلك الخصوصية الواقعة في منزلة وسط بين المنزلتين فهي واقعة بين العلم والمنطق أو المعرفة من جانب، وواقعة بين حد الفن والجمال، من جانب ثان.

فالبلاغة: علم حيوي، متجدد، ممتد، موسوعي، ضد الثبات والجمود، إذا ما حضرت توارت جميع العلوم خلفها حياءً وخجلاً، فهي علم حياة يمتلكها ويستحوذ عليها نزوعها القيادي السيادي؛ ذلك النزوع الذي يتسع اتساع قدرات الإنسان التعبيرية والفكرية، سوا ء تعلق الأمر بالارتكاز إلى اللغة وطاقاتها التعبيرية الهائلة، أم تعلق بالارتكاز إلى مكونات أخرى غير لغوية، كالمقام وذاتية التلقي وقدراته الخاصة، وغير ذلك من الجوانب التي تسهم في توجيه الإمتاع، وتتدخل في طبيعة التأثير الجمالي في المبدع، الذي يظل ينشد قيم الجمال والمتعة، ويميزه الإحساس به، بل ويعيش من أجله.

فالنظر في القيمة الجمالية ركن ركين في المقاربات البلاغية، والبنيوية والأسلوبية ..... إلخ وغيرها من المناهج.

(إن التلقي عملية إنسانية راجحة تفرض نفسها على أي تحليل أو دراسة مهما ادّعت لنفسها الصرامة والدقة العلمية، لذا كانت الممارسة النقدية المقصودة في اجتهاداته، ليست ممارسة علمية صارمة بحتة، مثلما أنها ليست انطباعية مزاجية مطلقة، بقدر ما هي عمل متأرجح بين الحدين؛ حد شخصيّ، تذوقيّ تأمليّ، فنيّ، جماليّ، وحد محكوم بروح العلمية وشرط الموضوعية، بوصفهما

عنصرين ضابطين وموجهين، من دون خضوع أو ارتهان لآليات النظر العلمي الصارمة)[١].

(إن قضية القيمة الجمالية اتخذت لنفسها غايات منهجية أخرى لم تكن معالمها وآفاقها تتجاوز نطاقَي الحدس والتخمين؛ لذلك كان القصد هو ضبط الأدبية أو البلاغية بأكبر قدر ممكن من الدقة العلمية المتوَهَّمَة، قبل التفكير الواضح والمعلن في إمكانات استثمار الحقيقة الأدبية، القائمة في سياق كونها النصي، وضمن سياقَيْ الجنس والنوع الأدبيين، في ارتباطها بالذات الدارسة يحمل لواء هذه الدعوى –رولان بارت – ويؤكد الحقيقة نفسها، بدعوته إلى ضرورة أن يتميز النقد والمقاربة البلاغية بنوع من المرونة والإنسانية، التي لا تعني عنده غير المرونة الإنسانية في التعامل مع الأدب) [٢].

يقول: «إنني في جميع الأحوال لصالح السيولة التاريخية للنقد، فالمجتمع يبتكر بدون توقف لغة جديدة، ويبتكر في الوقت نفسه نقدا جديدا»[٣].

فالدعوى إلى إنسانية الفكر البلاغي، وتكامله مع مناهج عديدة، ومع الإنشائية المعاصرة في الغرب، وحامل الدعوى إليها رولان بارت، الذي يرى أن النص الإبداعي، نص موسوعي، وموسوعيته تتطلب الانفتاح على جميع المناهج، وعلى رأسها تغليب الذاتية والذائقة الجمالية، أو ما يعرف بالإنشائية، وبالقابلية للقراءات المتعددة، وهذا هو سرّ تجدده، واستمراره نحو التطوير أي عدم الثبات والاستقرار على قراءة واحدة؛ وإنما لكونه يوحي بمعانٍ مختلفة ذات أبعاد جمالية.

---

(١) مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ترجمة عبد الرحمن أيوب، دار توبقال للنشر، (عالم المعرفة الأدبية)، ط١، ١٩٨٥م: ٩٣.

(2) T. Todorov, Poétique , Ed. Seuil, Paris 1968, Coll. Points .45 P: 104.

(٣) ينظر: رولان بارت، النقد والحقيقة، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط ١، ١٩٨٥م: ١٠٨.

المبحث الأول

المقاربة البلاغية للأبعاد الجمالية الذاتية:

يقول الدكتور محمد مشبال عن تحولات البلاغة: «إن التوجه الجمالي للبلاغة لم يكن شيئاً غريباً أو مستحدثاً وجب إنكاره، بل هو إمكانية كامنة في نسقها الكلي باعتبارها مجالاً يستوعب ما هو حجاجي، وما هو أدنى؛ أي إن نسقها النظري يؤهلها لدراسة الصور الشعرية، والحبكات السردية؛ وذلك في أعمال روائية، وشعرية حديثة، إن المكونات الجمالية ليست في حاجة إلى وظيفة عملية أو تأثير فعلي لكي تكتسب صفة البلاغة أو لكي تبرر انتسابها للحقل البلاغي... ويقول: لم تكن الصورة الشعرية لتستساغ، وتحقق تجارب المتلقين القدامى؛ إلا لما تنطوي عليه من سمات دلالية، وتداولية معاً»(١).

«فالبلاغة في المحصلة النهائية؛ ليست سوى نموذج مكثف لخصائص الطبيعة الإنسانية فسمات البساطة، والتدرج، والتوازن، والتأمل، والتوجس، والمراوغة، والإيحاء، والتجسيد، والسؤال، والحيرة وغيرها، فإنه لا يبتعد عن جوهر البلاغة التي ينبغي ألا نجمدها في قوالب محددة؛ فلعل إحدى وظائف الفكر البلاغي إنسانياً تكمن في قدرتها على الاكتشاف لجوهر الفكر الإنساني، فإن البلاغة بقدر ما تعني بالاستعارة، والتشبيه، والجناس، وغيرها من الصور واسعة الأبعاد متعددة الدلالة، ليست بعيدة عن القيم الجمالية الذوقية، والمكون الإبداعي والذاتي(٢)».

---

(١) د. محمد مشبال: عن تحولات البلاغة، جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب، تطوان المعرب، ٢٠١٥ م ص ١٣، ١٤.

(٢) د. محمد أنقار: ظمأ الروح أو بلاغة السمات في رواية " نقطة النور" لبهاء طاهر، (بتصرف) الانتشار العربي، بيروت ٢٠٠٨، ص ٣٢،٣٣.

«لقد أثبت تاريخ التفكير البلاغي أن نزعة التعميم التي ميزت عمل البلاغيين؛ تداخلت معها نزعة أخرى استبدت بالبلاغيين تمثلت في رصد السمات الخاصة، والظواهر الفريدة، ولعل هذا التمازج بين النزعة الكلية المجردة، والنزعة الفردية المتغيرة، هو أحد العوامل التي منحت البلاغة القدرة على الاستمرار والتطور»(١).

سعة الفكر البلاغي، وامتداد منهجه:

إن المقاربة الذاتية لإنسانية الفكر البلاغي تقتضي ضرورة التسلح بوعي منهجي مرن؛ يتسع ليشمل كل الفنون والمناهج، منهج غير صارم، يتيح للبلاغي قدرًا من الذاتية، والذوق والجمال، ويجنبه القذف بالأحكام والنقد والنتائج، بما ينتج عنه الحفاظ على النوعية في النصوص الإبداعية الإنسانية، وتشكيل جوهر هذا الفكر العميق، وامتداده وسعته.

إن إنسانية الفكر البلاغي إطار مفتوح؛ لاستيعاب مختلف أشكال التعبير الإنساني، فهو منهج متسع، متجدد غير ثابت، له الفضل في مواصلة امتداده وتكوين فكره الشاسع غير المكتمل، والمتغير باستمرار، كما إن تلون الفكر الإنساني، وتعدده بتعدد نصوصه الإبداعية، هذا الأمر الذي يجعل إنسانية الفكر البلاغي الواعي، وذاتيته ذات جمالية خاصة متغيرة، متجددة، كانت ولا تزال وستظل؛ محل نقاش وإثراء للحقول المتعددة(٢).

المعالجة البلاغية في هذا المنهج:

إن التحليل البلاغي، لا يمكن أن يخرج في حقيقته عن طابعه الإجرائي وسمته العملي المحض؛ لأنه في جوهره وثيق الصلة بالنصوص الإبداعية

---

(١) د. محمد مشبال: عن تحولات البلاغة، جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب، تطوان، المعرب، ٢٠١٥ م، ص ١٥.

(٢) د. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ٨٤، وينظر: د. مصطفى مندور، اللغة بين العقل والمغامرة، ١٥١.

المتجددة باستمرار. إن الممارسة البلاغية النقدية تهتم بقراءة النصوص قراءة واعية؛ تستجلى فيها بلاغات الأنواع، وتتجسد من خلالها الإمكانات التعبيرية المخصوصة، التي عولجت في كثير من النصوص ذات الأبعاد الجمالية، ويحتمل أن تعالج في نصوص جديدة .

وتعد قضية الدلالة من أقدم قضايا الفكر الإنساني في الحضارات المختلفة، وقد أسهم فلاسفة ولغويون وبلاغيون وأصوليون عرب في بحث قضايا دلالية متنوعة، فمنهم من برر تعدد الدلالات بأن العرب أوقعت اللفظتين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في كلامهم وسعة ألفاظهم لمفردات حياتهم، ليدلوا على أن دلالة اللفظ واسعة عندهم(١).

يعطي هذا المنظور الراجح المعترف للبلاغة بجوهرها الإنساني، للذات نصيبها الأوفر وحظها الأوفى من حق التذوق والاستنكاه الخاص لروح العمل الإبداعي، وفي الوقت نفسه يهب للمحلل الحق في أن يدعي أنه يمارس العمل النقدي أو البلاغي؛ لأن حسن الإنصات للنصوص والإصاخة لذبذباتها الرهيفة جراء الاحتكاك المباشر بها، عمل يقع في صميم الاشتغال البلاغي(٢).

- **المنهج الإنشائي :**

ينتمي المنهج الإنشائي في النقد الحديث إلى عالم البويطيقا (Poetics) التي تهتم بالسمات الشعرية، أو الشاعرية، أو الجمالية، أو الأدبية للنصوص، ولعل تعدد نعوتها هو أحد أسباب تشتتها، وعدم ضبطها؛ ولهذا تفاوت النقاد المعاصرون في خلع الأوصاف عليها، من قبيل (الإنشائية، الشعرية، الشاعرية،

---

(١) من حوار مع القاص والباحث محمد أنقار، أجراه العياشي أبو الشتاء، الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي، دجنبر ١٩٩٧، ٧ – ١١.

(٢) بلاغة النادرة، محمد مشبال، أفريقيا الشرق، البيضاء، ٢٠٠٦ م: ٦.

الشعرانية، الشعرنة، الجمالية، الأدبية...)، وإن بدت بعض نعوتهم أكثر حيرة واضطراباً؛ فذلك لأنها تلتبس بفنون أخرى، كالشعر، والأدب، والجمال، والإنشاء أيضاً، على نحو ما بيّنا، ومن هنا مال النقاد إلى استعمال صفة المنهج بالطريقة التي يرونها أقرب لتحقيق تصوراتهم، وهو ما جعل البعض يسم هذا المنهج بالشعري، أو الأدبي، أو الشاعري، أو الجمالي(١).

وتعود أهمية هذا الإجراء المنهجي إلى دوره الأساس في تحفيز الذائقة الجمالية القصوى لدى البلاغي والناقد المحلل بفاعلية واقتدار، تلك المشتملة على المكونات والسمات الإبداعية للنص؛ بناء على حقيقة أن مقاربة الإبداع الأدبي ليست شيئا آخر غير الاهتمام باستقصاء تكوينه الجماليّ .

فإن إدراك الكنه الجماليّ لأي نص إبداعي، والإحاطة بمكنونه الفني وغاياته التعبيرية، من أي جنس أو نوع أدبي كان هذا النص، سيخضع لا محالة لمسألة التذوق وعملية التأثر الذاتي والشعور الخاص بوقعه على الذات، ذلك بأن الممارسة البلاغية ليست شيئا آخر غير المواجهة المباشرة للأدب، والاحتكاك بالنصوص المتحققة، والمساهمة في بلورة التكوين النصي وإغناء الرؤية.. والكشف عن القيم الإنسانية(٢).

«يسهم هذا النهج البلاغي المرن – إلى حد كبير – في التأسيس لنمط من الاشتغال يمكن نعته ب (النقد الإنسانيّ)؛ لأنه يقرب المسافة فيما بينه وبين المتلقي، الذي سيلمس فيه نقدًا متصلًا بنفسه وحقيقته البشرية، ومعترفًا بأسبقيتها ومحوريّتها في تحري الحقيقة الأدبية، المتمثلة في المتعة والإحساس بالجمال،

(١) د. فهد إبراهيم البكر، مقال صُبَابَةُ القَولِ: فِي المَنَاهِجِ النَّقدِيَّةِ: المَنهَجُ الإِنشَائِيُّ، صحيفة الرياض جريدة الرياض(alriyadh.com) .

(٢) د. محمد أنقار: الصورة الروائية بين النقد والإبداع، فصول، ع ٤، شتاء ١٩٩٣ م: ٤٩.

بما هو الجوهر المتأصل في رسالة الإبداع أولًا وآخرًا، لذا فلا يمكن –بحال– أن تنفصل رسالة النقد عن ذوق الناقد، وعن إحساسه وفكره، وعن انطباعاته الذاتية الإقرار بأهمية الأبعاد الإنسانية»(١).

• **مقاربة في الأنساق والوظائف:**

ولعل هذا الأمر هو الذي يفسر لنا اعتماد البلاغيين المعاصرين ونقاد السرد المعاصر في الغرب ما يعرف بـــ « الرؤية الإنشائية » التي ترى ضرورة إجلاء النظر في القيمة الجمالية للنصوص، بعيدا عن توجهات النقد المدرسي والتهافت على وهم العلمية المفرطة، وأسبقية المضامين. في هذا السياق يبين تودوروف مثلًا، أن النظر في القيمة الجمالية لم يكن مغيبا تماما في المقاربات البنيوية والأسلوبية والشكلانية، وغيرها من المناهج، وإنما كان مؤجّلا فقط في اجتهادات رواد التحليلات النقدية المعاصرة: « تبدو قضية القيمة الجمالية أكثر تعقيدًا، ولكي نجيب النقاد الذين يؤاخذون التحاليل المستلهمة من مبادئ الإنشائية على عدم فهم الجمال، يمكن أن نقول لهم بكل بساطة إن هذه المسألة لا يجب أن تطرح إلا بعد وقت طويل، وأنه لا يجب أن نبدأ من النهاية؛ أي قبل خطونا الخطوات الأولى فيبدو ما مؤداه أن الرحلة الطويلة التي قطعتها الإنشائية المعاصرة، حين اهتمت أكثر بالنماذج اللّسانية، وغلَّبت الصرامة العلمية، ونزعت نحو التقنين والنمذجة، في مجالات التنظير والتطبيق في النقد أو البلاغة، لم تكن منذ البدء مقصودة لذاتها».

(1) T. Todorov, Poétique , Ed. Seuil, Paris, 1968, Coll. Points. 45, P: 104.

المبحث الثاني

(إنسانية الفكر البلاغي في البيان النبوي)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله تعالى عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: (لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا انْقَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا) رواه البخاري في صحيحه، وفي لفظٍ عند أحمد في مسنده: (إِنَّ الرَّحِمَ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، وَلَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ ...)[١] .

المعنى:

الواصل: من الوصل وهو ضد القطع[٢].

أما ضابط الواصل للرحم: هو أن تكون صلته لأجل الله تعالى؛ تقرباً إليه، وامتثالاً لأمره[٣] المكافئ: في اللغة – بكسر الفاء ثم الهمز– هو المُجازي، يقال كافأه على الشيء أي جازاه[٤].

وهوما يكافئ ويجزي صاحبه بمثل فعله، ويعطي لغيره نظير ما أعطاه ذلك الغير، فيَصلُ من وصله، ويقطع من قطعه[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب (٥٦٤٥) ٢٢٣/٥ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .
الراوي: عبدالله بن عمر، والمحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم ٥٣٨٥:، خلاصة حكم المحدث: صحيح التخريج: أخرجه البخاري (٥٩٩١)، وأبو داود (١٦٩٧)، والترمذي (١٩٠٨) واللفظ له، وأحمد (٦٧٨٥).

(٢) ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م ٦ / ١٢٠.

(٣) د. فهد سريع النغميشي ضوابط فقهية وتطبيقات معاصرة، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٢٦ م ص (١٠٣) .

(٤) ابن منظور: لسان العرب (سبق ذكره) ١ / ١٣٩.

(٥) الإمام بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط. السلفية، القاهرة، ط١، (١٠/٤٢٤).

والفرق بين الواصل والمكافئ: أن الواصل: من يَتَفَضَّل، ولا يُتَفَضَّل عليه، وأما المكافئ :الذي لا يزيد في العطاء على ما يأخذ(١).

حديث عبد الله بن عمرو: ليس الواصل بالمكافِئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها.. قوله ﷺ: ليس الواصل بالمكافئ، بمعنى ليس الواصل – الوصل الكامل – من كان مكافئاً يرد صلة من وصله من قراباته، فإن هذا من باب مقابلة الإحسان بالإحسان، فهو في حقيقة الأمر يعد من الصلة، لا شك أن هذا من الصلة، وإن صلة ذوي القربى والأرحام؛ كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب، والأصهار، والتعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بَعُدُوا أو أساءوا، وقطعُ الرحم ضِدٌّ ذلك كله، وهي من أعظم الواجبات، وآكد الأوامر وأفضل الطاعات، وقطيعة الرحم من أعظم الذنوب وأخطر الآفات؛ لذلك جاء في تعظيمها فضائل كثيرة، وترتب عليها الأجر والثواب، ومما يؤكد على حقيقة الواصل، وتمييزه عن العادات المخالفة لمقاصدها ما جاء في الحديث الشريف: ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها).

قال ابن بطال: قوله عليه السلام: (ليس الواصل بالمكافئ) يعنى: ليس الواصل رحمه؛ من وصلهم مكافأة لهم على صلة تقدمت منهم إليه، فكافأهم عليها بصلة مثلها. وقد روى هذا المعنى عن عمر بن الخطاب، روى عبد الرزاق، عن معمر، عمن سمع عكرمة يحدث عن ابن عباس قال: قال عمر ابن الخطاب: ليس الواصل أن تصل من وصلك، ذلك القصاص؛ ولكن الواصل أن تصل من قطعك .

قال ابن حجر في الفتح: « قوله ليس الواصل بالمكافئ، أي الذي يعطي لغيره نظير ما أعطاه ذلك الغير.. قال عمر: ليس الوصل أن تصل من وصلك؛

(١) السابق الذكر، والصفحة نفسها .

ذلك القصاص، ولكن الوصل أن تصل من قطعك. ونقل عن الطيبي: المعنى ليست حقيقة الواصل، ومن يعتد بصلته من يكافئ صاحبه بمثل فعله، ولكنه من يتفضل على صاحبه. وقال شيخنا في شرح الترمذي – أي العراقي –: المراد بالواصل في هذا الحديث الكامل فإن في المكافأة نوع صلة بخلاف من إذا وصله قريبه لم يكافئه فإن فيه قطعاً بإعراضه عن ذلك، وهو من قبيل ليس الشديد بالصرعة، وليس الغنى عن كثرة العرض»(١).

(وما ذكره ابن حجر نقلا عن الطيبي وشيخه الحافظ العراقي؛ تأويل لوقوع فعل " ليس"؛ الذي يفيد النفي في بداية الحديث، والبحث عن دلالته في الحديث، فالطيبي يحمل "ليس الواصل" على بيان حقيقة الواصل، بينما يحمله الحافظ العراقي على نفي كمال الوصل؛ فالمراد هنا ليس الواصل الكامل؛ لأن مكافأة القريب الواصل، مِثلا بالمِثل نوع من الوصل؛ ولكن الحديث يدلنا على (كمال الوصل) وهو وصل القريب القاطع. اختار ابن حجر في بيان المقصود بقوله "ليس الواصل"، أنه لا يلزم من هذا النفي وجود القطع، ولكن النفي في الحديث يشير إلى وجود درجات للواصل والقاطع)(٢).

ومما قال: «لا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع فهم ثلاث درجات مواصل ومكافئ وقاطع؛ فالواصل من يتفضل ولا يُتفضلُ عليه، والمكافئ الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يتفضل عليه ولا يتفضل. وكما تقع المكافأة بالصلة من الجانبين؛ كذلك تقع بالمقاطعة من الجانبين فمن بدأ حينئذ فهو الواصل فإن جوزي سمي من جازاه مكافئا»(٣).

---

(١) الإمام بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط. السلفية، القاهرة، ط١، (١٠/٢٤٢).

(٢) السابق الذكر، والصفحة نفسها.

(٣) الإمام محمد أبو زهرة: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ط٢٠٠٧م (٨/٤٣٦٧).

ما المقصود بالواصل؟ وبناء على هذا الاختيار فالمقصود بالواصل في الحديث؛ هو من يبدأ ويبادر بوصل القريب أو النسيب، ويسبق غيره إلى هذا العمل الصالح، ويُتفضل بذلك عليه، سواء جازاه بالمثل أم لا، وسواء بادله بالوصل أو القطع.

إذن المبادر بين الأقرباء؛ هو الواصل، والمكافئ، هو من يجازي من بدأه بالوصل.

ويفهم من صفات الواصل ما يأتي: تعظيم شأن صلة الرحم كما عظمها الله تعالى فقال عز من قائل: ﴿وَاتّقُوا اللّهَ الّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء :١] فكان العرب يسأل بعضهم بعضاً بالأرحام تعظيما لمكانته وشرفه، فيقولون: ناشدتك الله والرحم.

المبادرة والمبادأة في وصل الأقارب؛ بالعناية والرعاية والإحسان؛ وهذه الدرجة العليا في صلة الأرحام.

المثابرة والمداومة على هذه الرعاية لحقوق ذوي القربى، والأرحام حتى لو بدا من أحدهم الجفاء واللامبالاة.

إن عادته وصل من قطعه، وهاجره من ذوي القربى، ومن باب الأولى وصل القريب المواصل، وهذا له حقان: حق الوصل والمكافأة .

هذا، الواصل المكافئ في الإحسان؛ لم يبلغ درجة الكمال في صلة الرحم، والإحسان إليه بل يعد ذلك من باب القطيعة .

والسؤال الذي يطرح نفسه وبقوة هنا؛ هو: ما هي حقوق ذوي القربى؟

(وإذا كانت الشريعة الإسلامية تعتني بمقام "ذوي القربى" القريبة والأرحام، ويفرق بين درجات الناس في الوصل؛ فإنه من المهم بيان حقوق القربى التي تمثل الصلة الحقيقية عندما تسترعى، أو القطيعة الكاملة حين تهمل .وحق ذوي

القربى نوعان: النوع الأول: حق العطاء؛ إن كان فقيرا فإن عليه نفقته إذا احتاج كما أنه يرثه إذا مات غنياً، وقد قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [النور: ٦١].

ولا يقتصر العطاء على المحارم؛ بل ذوو الأرحام جميعاً، لهم حق في ماله إذا احتاجوا، وقد قال تعالى: ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]. النوع الثاني: من حقهم أن يصلهم بالمودة الواصلة فيزورهم ويعودهم، ويتعرف أحوالهم، ولو كانوا لَا يصلونه، كما قال النبي ﷺ: ليس الواصل بالمكافئ إنما الواصل من يصل رحمه عند القطيعة.

ذكر الزمخشري: حقهم غير المالي فقال: حقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك) [(١)].

المعالجة البلاغية لإنسانية الفكر البلاغي (المنهج الجمالي أو الذاتي):

شكل هذا الحديث النبوي الشريف؛ وحدة جمالية ذاتية متكاملة ذات معنى وخصوصية في المبنى، إماطة اللثام عن المقصد الأعظم فيه وهو:

(الاستجلاء الحقيقي لمعنى الواصل لرحمه)؛ لأن الجملة الشرطية هي (جذر المعنى) في هذا الحديث، والجملة الأولى المنفية صارت بمثابة (المسكوت عنه)؛

(١) الإمام بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط. السلفية، القاهرة، ط١، (١٠/ ٤٢٤).

والذي ما أُتي به إلا لأجل بيان المعنى الحقيقي للواصل لرحمه؛ ولدفع توهم غير المراد لدى المتلقي أو السامع؛ ولجذب انتباهه بداية لما يلقى من توجيه نبوي تربوي يؤسس للقيم الإنسانية بعامة، والدينية والمجتمعية بخاصة، بما من شأنه تحقيق السلام النفسي والمجتمعي .

وباستجلاء أدوات هذا المنهج الجمالي الذاتي؛ في البِنَى المتعددة في هذا الحديث من تركيب وسياق وبلاغة وأسلوب؛ للكشف عن مقاصده ﷺ؛ نجد بدايةً تصدير سيدنا رسول ﷺ الحديث؛ بجملة خبرية بدأها بـــ(لَيْسَ)؛ النافية والسؤال هنا، لِمَ بُدِءَ الحديث أو صُدِّرَ بالجملة الخبرية المنفية؟

أقُصِدَ من نفي الوصل ثبوت القطع؟ أم كان استحساناً واطمئناناً؛ حتى لا يساورهم أدنى شك في (أن الواصل ليس بالمكافئ)؛ دفعاً لئلا يتعاقب هذا الخلط في أجيالهم.

وعليه نقول: ما دِلالة النفي الذي صُدِرَ به الحديث؟

فلا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع؛ ولكن (النفي) إنما أتى دلالة على نفي (كمال الوصل)؛ فالمراد هنا في قول سيدنا رسول الله ﷺ؛ يشير إلى وجود ثلاث درجات للواصل وللقاطع؛ وهم: (مواصل، ومكافئ، وقاطع)، وعليه فلا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع.

ولا أدل على ذلك مما ذكره ابن حجر نقلاً عن الطيبي، عن شيخه الحافظ العراقي يقول: (تأويل لوقوع فعل "ليس"؛ الذي يفيد النفي في بداية الحديث، والبحث عن دلالته في الحديث، فالطيبي يحَمل " ليس الواصل" على بيان حقيقة الواصل، بينما يحمله الحافظ العراقي؛ على نفي كمال

الوصل، فالمراد هنا ليس الواصل الكامل؛ لأن مكافأة القريب الواصل مِثْلا بالمِثل نوع من الوصل؛ ولكن الحديث يدلنا على كمال الوصل، وهو وصل القريب القاطع، واختار ابن حجر في بيان المقصود بقوله: ("ليس الواصل"، أنه

لا يلزم من هذا النفي وجود القطع؛ ولكن النفي في الحديث، يشير إلى وجود درجات للواصل والقاطع)[١].

ومما قال: «لا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع؛ فهم ثلاث درجات مواصل، ومكافئ، وقاطع، فالواصل من يتفضل ولا يتفضل عليه، والمكافئ الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يتفضل عليه ولا يتفضل، وكما تقع المكافأة بالصلة من الجانبين، كذلك تقع بالمقاطعة من الجانبين، فمن بدأ حينئذ فهو الواصل»[٢].

ولما كان صحابة رسول الله ليسوا في موطن شك أو تردد للخبر، من أن المراد هو نفي كمال الوصل، فالمراد هنا ليس الواصل الكامل؛ لأنه عن سيدنا رسول الله، لذا أتى الخبر مؤكداً لهم في قوله: (وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا انْقَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا) من باب الأخذ بالأحوط أو الاستحسان؛ ولما كان الحديث موجه إلى عموم المسلمين كان من الأحوط أن يؤكد الخبر؛ لئلا يتسرب شك في أجيالهم المتعاقبة من أن نفي الوصل؛ يعني ثبوت القطع، ولكن (النفي)، إنما أتى دلالة على نفي (كمال الوصل)، وهنا تتجلى روعة البيان النبوي الشريف وعطاءاته ألا محدودة، لا ينطق عن الهوى، مالي هذا الجمال الذي لا يترك للنفس مجالاً للتفكير في غير مقصده أو للتشكك أو اللبس... إلخ .

وتعود أهمية هذا الإجراء المنهجي إلى دوره الأساس؛ في تحفيز الذائقة الجمالية القصوى لدى البلاغي والناقد المحلل بفاعلية واقتدار، تلك المشتملة على المكونات والسمات الإبداعية للنص؛ بناء على حقيقة أن مقاربة الإبداع الأدبي ليست شيئا آخر غير الاهتمام باستقصاء تكوينه الجماليّ .

---

(١) الإمام محمد أبو زهرة: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ط٢٠٠٧م (٨/٤٣٦٧) .
(٢) السابق الذكر، والصفحة نفسها .

فإن إدراك الكنه الجماليّ لأي إبداع، والإحاطة بمكنونه الفني وغاياته التعبيرية، من أي جنس أو نوع أدبي كان هذا النص، سيخضع لا محالة لمسألة التذوق وعملية التأثر الذاتي والشعور الخاص بوقعه على الذات، ذلك بأن الممارسة يتيح للبلاغي قدرًا من الذاتية، والذوق والجمال، ويجنبه القذف بالأحكام والنقد والنتائج، بما ينتج عنه الحفاظ على النوعية في النصوص الإبداعية الإنسانية، وتشكيل جوهر هذا الفكر العميق، وامتداده وسعته.

فالمراد هنا في قول سيدنا رسول الله ﷺ؛ يشير إلى وجود ثلاث درجات للواصل وللقاطع؛ وهم: (مواصل، ومكافئ، وقاطع)، وعليه فلا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع.

وبتتبع أدوات المنهج إن إنسانية الفكر البلاغي إطار مفتوح؛ لاستيعاب مختلف أشكال التعبير الإنساني، فهو منهج متسع، متجدد غير ثابت، له الفضل في مواصلة امتداده وتكوين فكره الشاسع غير المكتمل، والمتغير باستمرار، كما إن تلون الفكر الإنساني، وتعدده بتعدد نصوصه الإبداعية، هذا الأمر الذي يجعل إنسانية الفكر البلاغي الواعي، وذاتيته ذات جمالية خاصة متغيرة، متجددة، كانت ولا تزال وستظل؛ محل نقاش وإثراء للحقول المتعددة(١).

في هذا الحديث الشريف؛ تلك التي تربط بين أجزائه؛ فتتكشف مقاصده، وتفهم أهدافه؛ لأن معرفة مقاصد الحديث، من أهم ركائز إنسانية الفكر البلاغي وإبراز القيم الجمالية فيه .

فكان من أهم في هذا الحديث الإحالة (كالإحالة المقامية)؛ المتمثلة في السياق المحيط بالنص، و(الإحالة النصية) أو اللفظية تلك التي يشكل الضمير أهم

(١) د. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ٨٤، وينظر: د. مصطفى مندور، اللغة بين العقل والمغامرة، ١٥١.

عناصرها، والوصل بالعطف، والاتساق المعجمي كالتكرار والاستبدال، وغيرها من الروابط النصية التي من شأنها بناء سلسلة متصلة الحلقات من العلاقات، وهذا ما يميز البيان النبوي الشريف فهو النموذج البياني المتكامل بعد كتاب الله – سبحانه وتعالى – في البناء والتكامل وقوة التأثير على المتلقين .

وفي هذا الحديث إحالتان: إحداهما (خارجية) خارج النص، وثانيهما (داخلية) داخل النص والإحالة الخارجية؛ تتجلى في نسبة النص لقائله، وهو سيدنا رسول الله ﷺ حيث رُبط الحديث بالسياق الخارجي له أما الإحالة الداخلية؛ فهي (الضمائر)، وما تحيل إليه من مرجعية في السياق.

ويعد الضمير من أهم عناصر الإحالة النصية في الحديث؛ لأن مرجعيته تعمل على ربط مفاصل الحديث والجذب بين أطرافه.

هذا، والإحالة الداخلية، يعد – الضمير– أهم عناصرها؛ فقد قام هذا الحديث النبوي على ثلاث مستويات من الضمائر:

المستوى الأول: ضمير يعود إلى ذات المخاطبين وهم: الصحابة – رضوان الله عليهم – ومنه إلى عموم المسلمين، في كل زمان ومكان فهؤلاء الصحابة – رضوان الله عليهم – خوطبت الأمة الإسلامية من خلالهم .

المستوى الثاني: ضمير يعود إلى ذات المتكلم وهو: (سيدنا رسول الله ﷺ) قائل الحديث، ويعود إلى عبد الله بن عمرو بن العاص راوي الحديث .

المستوى الثالث: ضمير يعود إلى ذات الغائب في الذي يرجع إلى المخاطب، الذي حل محل الرحم: (انقطعت رحمه – وصلها).

والمرجعية الأولى في هذا الحديث هي (الضمائر المستترة) في قول سيدنا رسول الله ﷺ: (الواصل)، أي عموم المسلمين غير المعين؛ لأن الحديث موجه إلى كل مسلم ومسلمة في كل زمان، ومكان .

هذا، ومسألة التذوق وعملية التأثر الذاتي والشعور الخاص بوقعه على الذات، ذلك بأن الممارسة يتيح للبلاغي قدرًا من الذاتية، والذوق والجمال، ويجنبه القذف بالأحكام والنقد والنتائج، بما ينتج عنه الحفاظ على النوعية في النصوص الإبداعية الإنسانية، وتشكيل جوهر هذا الفكر العميق، وامتداده وسعته.

«يسهم هذا النهج البلاغي المرن- إلى حد كبير - في التأسيس لنمط من الاشتغال يمكن نعته بـــ(النقد الإنسانيّ)؛ لأنه يقرب المسافة فيما بينه وبين المتلقي، الذي سيلمس فيه نقدًا متصلًا بنفسه وحقيقته البشرية، ومعترفًا بأسبقيتها ومحوريّتها في تحري الحقيقة الأدبية، المتمثلة في المتعة والإحساس بالجمال، بما هو الجوهر المتأصل في رسالة الإبداع أولًا وآخرًا، لذا فلا يمكن -بحال- أن تنفصل رسالة النقد عن ذوق الناقد، وعن إحساسه وفكره، وعن انطباعاته الذاتية الإقرار بأهمية الأبعاد الإنسانية »[1].

فـــ(ليس) التي صُدِّر بها حديث سيدنا رسول الله ﷺ؛ إنما أتت لإفادة توكيد مضمون الجملة؛ وهو أنه لا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع؛ ولكن النفي إنما أُتي به دلالة على نفي (كمال الوصل)، والذي شأنه أن يسترعي الانتباه ويستوقف النظر؛ لما يلقى من توجيهات نبوية ينبغي الالتزام بها، والعمل بموجبها، فالمراد هنا في قول سيدنا رسول الله ﷺ؛ يشير إلى وجود ثلاث درجات للواصل وللقاطع هم: (مواصل، ومكافئ، وقاطع).

كما تضمنت الجملة الخبرية المنفية سؤالاً مقدر فهم بالفحوى أو بالذوق، ويكون التقدير:

(ومن هو الواصل؟)، والجملة الثانية مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ فقد أتت جواباً لهذا السؤال المقدر، توضيحاً، وتفسيراً، وبياناً لدفع توهم غير المراد.

(١) د. محمد أنقار: بلاغة النص المسرحي، ٢٦.

تقادم العهد بهم؛ قد يتسرب إلى نفوسهم خلط أو إيهام؛ في فهم غير مراد سيدنا محمد ﷺ.

ولكن لما كان المخاطبون هم صحابة سيدنا رسول الله ﷺ؛ انتفى عنهم إيهام غير المراد من كلامه ﷺ؛ لاستحالة وقوع خلط أو إيهام غير المراد في أذهانهم؛ فيما قصده الرسول الكريم ﷺ؛ ولكن أكد من باب الاطمئنان، واستحساناً واحترازاً من أجيالهم المتعاقبة، التي ربما مع فالتشكيل البنائي للوحدات داخل البناء التركيبي النصي لانطباعات الذاتية، والإقرار بأهمية الأبعاد الإنسانية والجمالية على مستوى (الضمائر)؛ يمثل المقصد الرئيس في هذا الحديث الشريف.

والخطاب موجه إلى الصحابة – رضوان الله عليهم – الذين خوطبت الأمة الإسلامية في شخصهم أو عموم المسلمين في كل زمان ومكان، والضمير هنا تقديره (أنتم) أي المخاطبين غير المعينين أو المحددين، وهي إحالات قبلية في النص تربط بين عناصره اللغوية والدلالية .

وتأسيساً على ذلك أرى :

إنه عندما نتوقف عند مرجعية الضمائر، والدور الدلالي الذي تقوم به في تماسك النص؛ سنجد قوله ﷺ: (ضمير المخاطب): موجهاً إلى الصحابة – رضوان الله عليهم – ويعود على عموم المخاطبين من المسلمين؛ فهي إحالات مرجعية داخلية.

وفي هذا الشأن يقول الدكتور عبد العزيز عبد الباري: (فالضمير مبهم يحتاج إلى ما يفسره، ولكن هذا الإبهام يزول؛ عندما يوضع الضمير في تركيب، وقد أكد علماء النص أن ضمير الغائب؛ من بين الضمائر الأخرى له ميزتان، الأولى:

الغياب عن الدائرة الخطابية، والثانية: القدرة على إسناد أشياء معينة؛ تجعل هاتان الميزتان من هذا الضمير موضوعاً على قدر كبير من الأهمية في تماسك النصوص)[1].

هذا، ونستطيع أن نقول إنّ َالتشكيل البنائي للوحدات داخل البناء التركيبي لانطباعات الذاتية، والإقرار بأهمية الأبعاد الإنسانية، والجمالية على مستوى (الضمائر)؛ يمثل المقصد الرئيس في هذا الحديث الشريف، والذي يحدث من إحالة الضمير على سابق له، والمحال إليه هنا هم: (الواصل، والمكافئ، والقاطع) المعهود في الذهن لدى المتلقي أو السامع؛ فالمتلقي تدور بذهنه مجموعة من التصورات تشوقه إلى معرفة – مفسر الضمير– وهنا يحدث الانسجام وتتجذر قيم الإنسانية، وتتجلى الأبعاد الذاتية على جميع المستويات والمناحي؛ في تماسك نصي عجيب يسع جميع النصوص، يتسم بالتجدد والاستمرارية، ولا يخضع للثبات؛ فعندما ينطلق المتلقي بمقصده من الضمير عندئذ؛ يزول هذا الإبهام، وتتحقق الفائدة في ذهن المتلقي أو السامع .

وتأسيساً على ذلك أرى:

إنَّ ضمير المخاطب (أنتم) الذي بُني عليه هذا الحديث النبوي؛ يتوجه في مرجعيته إلى كل مخاطب مسلم مَعْنيٌّ بهذا التوجيه النبوي الشريف من هؤلاء الثلاثة: (المواصل، والمكافئ، والقاطع).

ويعد من أدوات المنهج الجمالي الذاتي؛ التماسك النصي (الفظي) أو الربط أو الاقتران في هذا الحديث (الشرط) الذي اقتضى وجود أداة شرط، وفعل شرط، وجواب شرط، أي جملتين فعل الشرط، وجوابه، ولا يتم المعنى إلا بهما معاً.

---

(١) ينظر د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ١٤٢١ه–٢٠٠٠م، ج١/١٦١ .

كما بُنيَ الحديث النبوي كله إجمالاً؛ على جملتين أولهما الجملة الخبرية المنفية، وثانيهما جملة الاستئناف البياني التي صُدِرت بأداة الاستدراك، والتي توقعت جواباً لسؤال فُهِم بالفحوى أو بالذوق من الجملة الخبرية المنفية، وتقديره (من هو الواصل؟) مضمنة جملة الشرط بداخلها؛ ودلالته الاتحاد بين جملة الشرط والجواب التي ختم بها الحديث؛ لتشكَّل وحدة نصية متكاملة، ذات معنى وخصوصية، وهو الاستجلاء الحقيقي لمعنى للواصل لرحمه؛ لأنها أي الجملة الشرطية (جذر المعنى) في هذا الحديث، والجملة الأولى المنفية صارت بمثابة (المسكوت عنه)؛ والذي ما أُتي به إلا لأجل بيان المعنى الحقيقي للواصل لرحمه؛ ولدفع توهم غير المراد لدى المتلقي أو السامع؛ ولجذب انتباهه بداية لما يلقى من توجيه نبوي يؤسس للقيم الدينية والمجتمعية، بما من شأنه تحقيق السلام النفسي والمجتمعي .

فالجملة الأولى: في قول الرسول ﷺ: (الذي إذا انقطعت رحمه) وتسمى جملة الشرط، كما جاءت بصيغة الماضي، ولكن المراد منها الحصول مستقبلاً، فقد عبر سيدنا رسول الله ﷺ عن المستقبل بصيغة الماضي؛ وذلك لتحقق الوقوع والجملة الثانية في: (وصلها) أتت متصلة بضمير الغائب الذي يرجع إلى المخاطب، الذي حل محل الرحم؛ وذلك على سبيل المجاز، ونوعه استعارة جسمت الرحم بشيء محسوس من شأنه أن يقطع، ويعاد وصله ..... إلخ.

كما جاءت جملة جواب الشرط (وصلها) بصيغة الماضي أيضاً؛ وذلك للدلالة على تحقق وثبوت حصول الوصل.

والذي حقق التماسك النصي؛ هو الترابط (اللفظي والدلالي) بين جملة الشرط وجوابه؛ وذلك لأن الترابط اللفظي، يتحقق في ارتباط فعل الشرط بجوابه، بينما يتحقق الترابط الدلالي؛ في افتقار جملة الشرط إلى جواب؛ حيث لا يتم المعنى ولا يفهم مقصده، إلا بها.

هذا، وقد خرج الإمام عبد القاهر الجرجاني بأسلوب الشرط؛ من المعنى – الضيق – إن جاز التعبير عند النحاة؛ وهو ترتب معنى الجزاء على معنى الشرط، مع اتساقهما وانسجامهما فالنحويين كان جل اهمامهم في استيفاء المكونات النحوية، من حيث أداة الشرط، وفعل الشرط، وجوابه، وطبيعة الجزم، وغير ذلك مما لا يتجاوز مفهوم الجملة .

أما شيخ البلاغة بلا منازع؛ الإمام عبد القاهر الجرجاني فقد خرج بأسلوب الشرط من المعنى الضيق عند النحاة إلى فضاء أوسع وأرحب؛ حيث (بلاغة النص) أو نحو المعنى، وذلك من خلال نظرية النظم؛ تلك التي توج فيه الجرجاني عصارة فكره، وهو أن الألفاظ ليس لها أي قيمة تذكر مالم تتلاقى دلالاتها، وتتسق معانيها؛ وهو ما يسمى بالتلازم التركيبي .

وهذا التلازم التركيبي نحو وجود أدوات التشبيه؛ يلزم عنه وجود التشبيه، وكذا وجود أداة الشرط؛ يلزم عنه وجود فعل الشرط، ووجود جواب الشرط، وخصوصية أي تركيب كوجود المبتدأ يلزم عنه خبر، وكذا الحال ..... إلخ .

وتأسيساً على ذلك أرى:

أن الإمام الجرجاني أجاد في توظيف – التلازم التركيبي – في جملة الشرط بلاغياً أو من خلال معالجاته البلاغية، ولا سيما في نظرية النظم، يقول مدللاً على ذلك « ... وينبغي أن يجعل ما يُصنْع في الشرط، والجزاء من هذا المعنى أصلاً يتعبر به » (١).

وتأسيساً على ما سبق أرى:

إن تحقق الانسجام بين إنسانية الفكر البلاغي بأبعاده الجمالية، وتعزيز الذائقة الذاتية، مع تحقق الترابط (اللفظي والدلالي) في جملتي الشرط والجواب؛ شكل

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ص (٩٣) .

وحدة ذات فضاء إنساني يسع كل المناهج والاتجاهات، ويعزز الذائقة الجمالية في نصية متكاملة ذات معنى وخصوصية في فهم مقصدها، أو ما تهدف إليه، وهو مقصد هذا الحديث الشريف .

هذا، ولقد ذكر البلاغيون القدماء ما يحققه الشرط من انسجام إنساني جمالي ذاتي، وترابط وتماسك؛ في المعاني بين جملتي الشرط والجواب، يقول في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني: «والشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على الانفراد ... واعلم أن سبيل الجملتين في هذا، وجعلهما بمجموعهما بمنزلة الجملة الواحدة؛ سبيلُ الجزأين تُعْقَد منهما الجملة، ثم يجعل المجموع خبراً، أو صفة، أوحالاً ... فكما يكون الخبر والصفة والحال؛ لا محالة في مجموع الجزأين لا في أحدهما، وإذا علمت ذلك في الشرط؛ فاحتذه في العطف، فإنك تجده مثله سواء»(١).

فقد ارتبطت جمل هذا الحديث الشريف بحرف الواو؛ حيث عطف الجملة الاستئنافية التي صُدِرَت بالاستدراك، وكان لها دورها في إنسانية الفكر البلاغي وسعته وامتداد منهجه؛ فهي (جذر المعنى) في هذا الحديث الشريف، وقد تحدث البلاغيون القدماء في باب الفصل والوصل عن ذلك؛ كما كان لصحة الاتصال أو فساده بين أجزاء النص شعراً كان أو نثراً من الأهمية بمكان عند البلاغيين والنقاد، وقد أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى التماسك النصي في الجملة المعطوفة؛ إذ يُصيّرها العطف، كحكم الجملة الواحدة في المعنى .

ولما كانت هاتان الجملتان المعطوفتان تجمعهما جهة جامعة واحدة؛ تتمثل في كون المخاطب بهذه التوجيه النبوي هو شخص واحد ألا، وهم عموم المسلمين في كل زمان، ومكان، كما اختلفت هذه الجمل؛ في كون المقصود في كل واحدة منها مختلف عن المقصود في الأخرى .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، (السابق الذكر)، ص (٢٤٦- ٢٤٧).

فالعطف أحد مكونات هذا المنهج الممتد، وأحد أدوات التماسك النصي بين الجملتين الشرط والجواب، فقد أشار الإمام الجرجاني – في النص أعلاه – إلى التماسك النصي في الجملة المعطوفة، إذ يجعلها العطف بمثابة الجملة الواحدة في المعنى .

كما أن للعطف مزية أخرى؛ ألا وهي (التقابل بين المعاني) حيث يتجلى الفرق بين الأنواع الثلاثة: (الواصل، والمكافئ، والقاطع).

فالعطف من أدوات التماسك النصي في الحديث الشريف؛ فهو من الروابط الغالبة فيه، والذي صير الحديث النبوي كله في ترابطه كالجملة الواحدة، كما أنه لم يكن جديداً أو مبتكراً عند علماء النص في العصر الحديث؛ وإنما تحدث عنه البلاغيون القدماء في باب الفصل والوصل، وعن أثره في بناء النص وتماسك أركانه .

والذي سوغ هذا الوصل بين هذه الجمل المتتابعة؛ هو أنها قد اتفقت في كونها جميعاً جملاً خبرية لفظاً ومعنى، واتحاد المسند إليه فيهما .

و(جذر المعنى) في هذا الحديث الشريف في قوله ﷺ: (وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا انْقَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا) وهي الجملة المحورية فيه.

هذا، ويعد التناسب؛ من أدق وأهم أدوات التماسك النصي؛ يهدي إلى الوقوف على فهم واستيعاب مقاصد النص، فالتناسب بين أجزاء النص؛ من أهم أسرار تماسكه وترابطه، بل ويتوقف العلم فيه وبأسراره على معرفة المقصود من النص .

والتناسب المعنوي، وكذا اللفظي؛ فهو من أدوات التماسك النصي التي وظفها سيدنا رسول الله ﷺ في الحديث؛ لاستجلاء المعنى وبيان مقاصده، وهذا من بلوغ بيانه الذروة العليا.

هذا، والرحم لها دلالتان؛ يقول الإمام القرطبي: (الرحم عامة وخاصة، فالعامة هي رحم الدين والإنسانية، ينبغي مواصلتها بالعدل والإنصاف والنصح

والود فحقوقها واجبة علينا، وأخرى مستحبة أما الرحم الخاصة: فهي رحم ذوي القربى؛ فينبغي مواصلة الأقارب بالنفقة عليهم، وتفقد أحوالهم وأوضاعهم، والتغاضي عن زلاتهم وهفواتهم)[١].

هذا، وفي تكرار (الواصل) في قول سيدنا رسول الله ﷺ: (ليس الواصل – ولكن الواصل – وصلها) في هذا الحديث الشريف؛ حيث التكرار بالنفي في بداية الحديث (ليس الواصل) والذي لا يلزم من نفي الوصل معه ثبوت القطع؛ ولكن النفي إنما أتى دلالة على نفي كمال الوصل، والتكرار الثاني في: (ولكن الواصل) ورد في قوله: (ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه)؛ حيث جملة الاستئناف البياني التي صُدِرت بأداة الاستدراك، والتي وقعت جواباً لسؤال فُهِم بالفحوى أو بالذوق من الجملة الخبرية المنفية؛ لتشكِّل وحدة نصية ذات معنى وخصوصية، وهو(الاستجلاء الحقيقي لمعنى للواصل)، والتكرار الثالث في قوله: (وصلها) جملة جواب الشرط .

وتحليل ذلك؛ أتى التكرار الأول إثبات أو تأكيد؛ لأنه لا يعني القطع بالنفي، بل يعني نفي لكمال الوصل، والتكرار الثاني استدراك يستجلي حقيقة الواصل لرحمه، فهو تأكيد وإثبات لحقيقة الواصل، ولا أدل على ذلك من التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي، وجواب الشرط في: (وصلها) من قوله:

(إذا انقطعت رحمه وصلها) وهي مثبتة مؤكدة؛ وتأكيده أتى من التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي؛ وذلك لتحقق الوقوع .

إذن ما أتى النفي في مطلع الحديث الشريف؛ إلا للتأكيد على مقصده، ولإثبات واستجلاء حقيقة الواصل، وما تصديره المطلع، إلا لجذب الانتباه،

---

(١) الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تبويب محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دمشق، مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، ١٠ / ٤١٨ .

واستوقاف النظر، لما يلقى من توجيهات نبويه، ينبغي الالتزام بها، والعمل بموجبها.

فالتكرار أدى دوره؛ في التأكيد وزيادة التنبيه على صفات بعينها، ينبغي أن يتحلى بها المسلم، ونفي ما عداها، ومما لاشك فيه أن التكرار؛ له دور كبير في تماسك هذا الحديث، وربط جميع مفاصل الحديث برباط قوي، لا يمكن أن تنفك أواصره، وإلا تفكك الحديث، وغابت عنه تفاصيل إبداعه وبراعتها .

«إن التكرار لا ينتج تناظرًا فقط، بل يخلق إيقاعًا يمثل ظاهرة صوتية شمولية، لا تتحدد بالأصوات لشكلها المجرد فقط، بل تشمل كل ما يحيط بها، ويما يخيل عليها من عناصر مكمّلة، فالصوت لا تُعرف خواصه، ولا يُعرف شكله إلا من خلال الصمت المحيط به، الذي أسهم في تشكيل بنية الإيقاع »[١].

كما لم يغفل البلاغيون القدماء؛ عن ظاهرة التكرار، ودورها في تعضيد الأسلوب وإبراز الذاتية وتعزيز الذائقة الجمالية، يقول عنه إمام النثر العربي؛ الجاحظ: «وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حدّ ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص»[٢].

فقد أكد الجاحظ بهذه القاعدة أن البلاغة العربية الأصيلة؛ لم تقف عند حدود الجملة؛ وإنما امتدت إلى مقتضيات أخرى فرضها السياق، وفرضها كذلك مقتضى حال المخاطبين؛ فكان التكرار – إن جاز التعبير – وسيلة العبور من الجملة إلى النص .

---

(١) د. محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية، والبنية الإيقاعية – حساسية الانبثاق الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى، ص (٦٤) .

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٧، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ج١ /١٠٤-١٠٥.

وعليه: فالتكرار من أدوات التشكيل البنائي الجمالي وإنسانية الفكر البلاغي، ومن أدوات التماسك النصي في هذا الحديث؛ لأنه يعمل على إثارة التوقع لدى المتلقي أو السامع، وتشويقه إلى معرفة مقاصد الحديث الشريف.

وقد ذكر ابن جني؛ المعزي الذي من أجله استعمل العرب التكرار، يقول: «إن العرب إذا أرادت المعنى مكنته، وأحاطت له؛ فمن ذلك التوكيد، وهو على ضربين أحدهما: تكرير الأول بلفظه، وأما الضرب الثاني فهو تكرار الأول بمعناه »(١).

هذا، والغرض البلاغي للتكرار في هذا الحديث النبوي الشريف؛ هو إبراز المعنى وتقريره في النفس(٢).

ولما كان محور البديع كله؛ يكمن في إدراك النشاط للنص، وإبراز أوجه التفاعل داخله، لذا نقول إن المسائل البديعية جميعها تصلح؛ لأن تكون أدوات ربط (لفظي ودلالي)، فنجد الحديث الشريف

وظف (الطباق) في قول سيدنا رسول الله ﷺ: الواصل، والقاطع، والمكافئ؛ فنحن أمام نماذج ثلاثة من المسلمين قصدها هذا الحديث الشريف:

- النموذج الأول: (الواصل) بلا قيد أو شرط، واصل مادياً، ومعنوياً، ونموذج الواصل للرحم: هو أن تكون صلته لأجل الله تعالى؛ تقرباً إليه، وامتثالاً لأمره(٣).

---

(١) د. نوال إبراهيم الحلوة: أثر التكرار في التماسك النصي – مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف، بحث منشور بمجلة أم القرى، العدد الثامن ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص (٢٥) .

(٢) ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان،، ١٣٧١ه – ١٩٥٢م، ج٣ / ١٠٤ .

(٣) د. فهد سريع النغميشي ضوابط فقهية وتطبيقات معاصرة، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٢٦ م ص (١٠٣) .

- النموذج الثاني: فهو المكافئ: أي المُجازي، يقال كافأه على الشيء أي جازاه[١].

وهو ما يكافئ ويجزي صاحبه بمثل فعله، ويعطي لغيره نظير ما أعطاه ذلك الغير، فيَصلُ من وصلهويقطع من قطعه[٢].

والفرق بين الواصل والمكافئ: أن الواصل: من يَتَفَضَّل، ولا يُتَفَضَّل عليه، وأما المكافئ: الذي لا يزيد في العطاء على ما يأخذ[٣].

- النموذج الثالث: فهو القاطع؛ وهو الذي لا يصل رحمه مطلقاً، لا قولاً ولا فعلاً، قاطع لرحمه مادياً ومعنوياً .

إنه لما تعورف في العربية – المصاحبة – في بعض المفردات كالليل والنهار، والسماء والأرض

والأبيض والأسود... إلخ؛ كان الاقتران المعجمي بين دلالة هذه الكلمات وسيلة من وسائل التماسك في النص.

يقول ابن أبي الإصبع المصري في ذلك: «وصحة المقابلات؛ عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه؛ أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني لا يحزم من ذلك شيء ...، ومتى أخل بالترتيب؛ كان الكلام فاسد المقابلة، وقد تكون المقابلة بغير الأضداد »[٤].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب (سبق ذكره) ١ / ١٣٩

(٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت ١٠ / ٤٢٣، ٤٢٤.

(٣) فهد سريع النغميشي: ضوابط فقهية وتطبيقات معاصرة (سبق ذكره)، ص (١٠٧) .

(٤) ابن أبي الأصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف، الناشر الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص (١٧٥ – ١٧٤) .

وعليه فالطباق والمقابلة من أدوات التماسك الدلالي، وهو ما يسميه علماء النص (بالسبك المعجمي)، وقد قسمه علماء النص إلى قسمين رئيسين هما: التكرار، والمصاحبة المعجمية، ويشمل التكرار الكلي والجزئي، والترادف، والمصاحبة، والمجاورة، وقد أولى علماء النص (السبك المعجمي) اهتماماً خاصاً؛ لكونه يقوم على العلاقة المعجمية، بعيداً عن العلاقات النحوية إنَّ إدراك الكنه الجماليّ لأي إبداع، والإحاطة بمكنونه الفني وغاياته التعبيرية،

من أي جنس أو نوع أدبي كان هذا النص، سيخضع لا محالة لمسألة التذوق وعملية التأثر الذاتي والشعور الخاص بوقعه على الذات، ذلك بأن الممارسة يتيح للبلاغي قدرًا من الذاتية، والذوق والجمال، ويجنبه القذف بالأحكام والنقد والنتائج، بما ينتج عنه الحفاظ على النوعية في النصوص الإبداعية الإنسانية، وتشكيل جوهر هذا الفكر العميق، وامتداده وسعته.

إن إنسانية الفكر البلاغي إطار مفتوح؛ لاستيعاب مختلف أشكال التعبير الإنساني، فهو منهج متسع متجدد غير ثابت، له الفضل في مواصلة امتداده وتكوين فكره الشاسع غير المكتمل، والمتغير باستمرار، كما إن تلون الفكر الإنساني، وتعدده بتعدد نصوصه الإبداعية، هذا الأمر الذي يجعل إنسانية الفكر البلاغي الواعي .

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم الأنبياء والمرسلين، والمبعوث رحمة للعالمين .

أهم ما توصلت إليه من نتائج:

أولاً: التجديد في أدوات التناول للتحليل البلاغي؛ لأن القدماء من صُناع العلم الأوائل أثبتوا كل شيء بالتراث؛ ودورنا الحقيقي هو استخراج هذه النفائس بأدوات حديثة تساعد في استجلائها وإبراز قيمها الإنسانية وخصائصها الجمالية، وحسن توظيفها بما يليق بقدسية هذا التراث وعظمته.

ثانياً: الإسهام في التأسيس لمنهج بلاغي مرن، والتأسيس لمنهج نقدي جديد، ألا وهو (النقد الإنسانيّ)؛ الذي يقرب المسافة فيما بينه، وبين المتلقي مرتبطاً بذات المتلقي، تلك الذات المتمثلة في المتعة والإحساس بالجمال؛ لذا فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنفصل إنسانية الفكر البلاغي عن ذوق الناقد، وإحساسه وفكره، وعن انطباعاته الذاتية .

ثالثاً: استخراج الأحكام النقدية، والاستنتاجات البلاغية التي تقود إلى؛ ضبط القوانين التي ينبني عليها العمل المدروس، وصياغة الاستنتاجات والخلاصات التأملية .

رابعاً: تكاملية العلاقة بين إنسانية الفكر البلاغي وذوق الناقد، وإحساسه وفكره، وانطباعاته الذاتية، وحتمية هذه العلاقة تجسدها أبعاد النص التكوينية والجمالية .

خامساً: تحديد المقصد الرئيس من– المزاوجة – بين إنسانية الفكر البلاغي وذوق الناقد وإحساسه وفكره، وعن انطباعاته الذاتية، والذي يتجلى في إعلاء

الذائقة الجمالية، وذاتية الرؤية، فتضافر السلطتين واتحاد مقصدهما؛ إنما ينتج عنه لغة غير نمطية في معالجة النصوص والأحداث لغة التنوع البلاغي الأسلوبي؛ فغدت لغة الفكر البلاغي لغة تكاملية، وإنسانيته مع المناهج الإجرائية في التحليل؛ تلك التي لا تتعارض مع التوجهات الحديثة، تحت مسمى الرؤية الإنشائية أو (المنهج الإنشائي) رؤية إبداعية متجددة يتولد منها كل يوم الجديد .

سادسًا: إزالة غبار–اللفظية– عن البلاغة العربية؛ وذلك بربط إنسانية الفكر البلاغي بذوق الناقد، وإحساسه الجمالي وفكره، وانطباعاته الذاتية، التي لا يختلف عليه اثنان بأنه محور الحياة المعاصرة، والتدليل على حيوية البلاغة، ومواكبتها العصر.

سابعًا: إثبات أن إنسانية الفكر البلاغي ليست رفاهية، أو زينة أو ترفيه تنثر على جسد اللغة؛ وغير ذلك من الجوانب التي تحوز قدرا كبيرا من التدخل في توجيه الإمتاع، وتتدخل في طبيعة التأثير الجمالي في المتلقي أو المخاطب، الذي يبقى في نهاية المطاف متلقي ينشد قيم الجمال والمتعة، ويميزه الإحساس به، بل ويعيش من أجله وتفرضها ذاتية البلاغة الذوقية؛ لأن هذا الفكر البلاغي المرن إلى حد كبير فيما يسمى بـــ (النقد الإنسانيّ)، فرسالة النقد الإنساني لا تنفصل عن ذوق الناقد، وإحساسه وفكره، وذاتيته، فهما صنوان في اشتمالهما على طاقة ذوقية جمالية ذاتية مهمة، فالقصدية الذاتية للباحث في بلاغة الإبداع؛ تعطي قدرًا من الاطمئنان إلى معالجة نوعية، تجنبه إسقاط الأحكام والنتائج، وحفظ مبدأ المغايرة الذي يسمى الإبداع الإنساني ويشكل جوهره الخالد .

المقترحات والتوصيات:

١– إعادة التوظيف لأدوات التحليل البلاغي؛ بربطها بالنص، فالتجديد ليس بالقضاء على أصول العلم وثوابته، وإنما بالتجديد في الأدوات المتبعة –

ولا سيما – في الجانب التطبيقي؛ بما من شأنه فتح آفاق جديدة، وطرائق متنوعة في التعاطي مع بلاغة النص، وليس الجملة سواء أكان في القرآن الكريم أم البيان النبوي الشريف أم الشعر أم النثر.....إلخ .

٢- إعادة توظيف بلاغة المقاصد الجمالية وإعمال الذاتية؛ بما يخرج النص إلى رحاب أوسع، حيث الانتقال من بلاغة الجملة إلى بلاغة النص .

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

- ابن منظور: لسان العرب، ت. ح أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التراث العربي، بيروت – لبنان ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .
- ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٧١ه – ١٩٥٢م، ج٣.
- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت ١٠ .
- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تبويب محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دمشق، مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- ابن أبي الأصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف، الناشر الجمهورية العربية المتحدة –المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي .
- البخاري: صحيح البخاري، ٧ /٧٢ كتاب الأدب، باب فضل صلة الرحم، وينظر :عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (بيروت: دار إحياء العربي، بلا تاريخ) بلا. ط / ٢٢
- البخاري: إرشاد الساري: لشرح صحيح البخاري، وبهامشه صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، د. ط ١١/٩، وينظر صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الفكر العربي ١٣٨٩هـ – ١٩٧٨ م .

- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م/ ٦.
- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٧، ١٤١٨ه - ١٩٩٧م، ج١ .
- م جيرار جينيت: دخل لجامع النص، ترجمة عبد الرحمن أيوب، دار توبقال للنشر، (عالم المعرفة الأدبية)، ط١، ١٩٨٥م .

T. Todorov, Poétique , Ed. Seuil, Paris 1968, Coll. Points 45>

- رولان بارت، النقد والحقيقة، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط ١، ١٩٨٥م .
- صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ١٤٢١ه-٢٠٠٠م، ج١ .
- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- فهد سريع النغميشي ضوابط فقهية وتطبيقات معاصرة، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٢٦ م.
- فهد إبراهيم البكر: مقال صُبَابَةُ القَولِ: فِي المَنَاهِجِ النَّقدِيَّةِ: المَنهَجُ الإِنشَائِيُّ، صحيفة الرياض جريدة الرياض (alriyadh.com) .
- الإمام محمد أبو زهرة: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ط٢٠٠٧م /٨
- محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية، والبنية الإيقاعية -حساسية الانبثاق الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى.
- محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ٨٤، وينظر: د. مصطفى مندور، اللغة بين العقل والمغامرة .

- محمد أنقار: الصورة الروائية بين النقد والإبداع، فصول، ع٤، شتاء ١٩٩٣م.
- محمد أنقار: من حوار مع القاص: أجراه العياشي أبو الشتاء، الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي، دجنبر ١٩٩٧م .
- محمد أنقار: ظمأ الروح أو بلاغة السمات في رواية " نقطة النور" لبهاء طاهر، الانتشار العربي، بيروت ٢٠٠٨.
- محمد مشبال: بلاغة النادرة، أفريقيا الشرق، البيضاء، ٢٠٠٦ م .
- محمد مشبال: عن تحولات البلاغة، جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب، تطوان المعرب ٢٠١٥ م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	ملخص البحث
٢	المقدمة
٣	التمهيد
٤	المبحث الأول
٥	المبحث الثاني: إنسانية الفكر البلاغي في البيان النبوي
٦	الخاتمة
٧	ثبت المصادر والمراجع
٨	فهرس الموضوعات